Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأويل عملية تاريخية وتاريخانية، بمعنى أنه خاضع لإكْرَاهَاتِ التاريخ ومستجيب لها، وأنه صانع للتاريخ ولثوراته. ومن يستعرض تاريخ التأويل القديم للعهدين بتياراته المختلفة والتأويل العربي الإسلامي باتجاهاته المختلفة والتأويل الحديث بمنظوراته المتعددة يتبين له صحة هذه البديهية.

مهما اختلفت التأويلات باختلاف الأديان والأجناس والأمم والجماعات والأفراد فإن أصل نشأته وسيرورته وإجرائه يرجع إلى مقولتين؛ أُولاَهُمَا غرابة الْمَعْنَى عن القيم السائدة، القيم الثقافية والسياسية والفكرية، وثانيتهما بث قيم جديدة بتأويل جديد؛ أي إرجاع الغرابة إلى الألفة، ودس الغرابة في الألفة.

2 ـ مبادىء التأويل وقوانينه:

إن العملية التأويلية لها رهان تريد أن تعززه وتسنده أو أن تخلقه وتصطنعه اصطناعاً، وللفوز بالرهان فلا بد من الانتصار على المعوقات مهما اختلفت أنواعها وأصنافها. ولتحقيق النصر فإنها تلتجىء إلى وضع مبادىء وصياغة قوانين لِتَضْبِطَ في ضوئها ـ نفسها وتحاكم خصومها إذا تجاوزوا تلك القوانين وهتكوا حرمتها؛ وهذا ما أنجزته النماذج المحللة في الفصول السابقة.

أ ـ مبادىء التأويل:

كان البلاغيون الذين حللنا أعمالهم يستحضرون ما أدت إليه فوضى التأويل في المشرق العربي من تفريق للأمة والجماعة وإشاعة التناحر بين الناس. ولذلك حاولوا جهدهم أن يضعوا مبادىء يرتكز عليها التأويل مستقاة من الآليات المنطقية بكل مكوناتها من تعريفات ومقولات وعلائق بين القضايا كما اعتمدوا على بعض المبادىء ذات الأصل الرياضي، وعلى توظيفات الآليتين الرياضية والمنطقية في أصول الفقه وفي البلاغة وفي الشعرية.

هكذا ناقش ابن عميرة ابن الزملكاني فاتهمه بالجهل بآليات المنطق، وبالاكتفاء بالقواعد النحوية التي نسبتها إلى مقصود الكلام كَنِسْبَةِ الظلال إلى الأجسام، وبالاعتماد على أدنى درجات مفهوم المخالفة أو دليل الخطاب، مما أدى بابن الزملكاني إلى شناعات التجاسر على الدين وإبطال النص؛ وبعد المناقشة كان يقدم تصحيحاته ومبادئه التأويلية.